الراعي الأمين

في مديح البطريرك زكا الأول عيواص

أفـــدي الـــذي أُحْيـــا الـــدُّجى مُتَعَبِّـــدا ... مُتَقَشِّـــفاً وَسَـــبى الكواكـــبَ مـــاردا

مَـــنْ شـــكَّ أنَّ المَجْـــدَ سَـــجْدةُ ماجـــدٍ ... وَرأى ســـــجودَهُ للإلـــــهِ تأكَّـــــدا

الحُـــبُّ وَالإيمـــانُ نَـــبْضُ فُـــؤادِهِ ... وَالحَـــقُّ سِـــرّهُ وَالفَضـــيلةُ وَالهـــدى

العِلـــمُ وَالآدابُ فَـــيضُ جَنانِـــهِ ... وَالبِـــرُّ كَنْـــزُهُ فـــي الجَنـــانِ مُخَلَّـــدا

عـــارُ المســـيحِ الـــرَّبِّ تـــاجُ فَخـــارِهِ ... بَـــزَّ المَفـــاخِرَ وَالمَمالـــكَ سُـــؤْدَدا

مـــا البَـــدْرُ أو شَـــمْسُ النَّهـــارِ حِيالَـــهُ؟ ... لـــو نافَســـاهُ فـــي الضِّـــياءِ تَرَمَّـــدا

شَـمْسُ الضُّـحى صَـدْرَ السَّـماءِ تَكَبَّـدَتْ ... عَـــرْشُ المُخَلِّـــصِ فَـــوقَهُنَّ تَوَطَّـــدا

يُحْيـــي الليـــالي بِالصَّـــلاةِ مُجاهِـــداً ... وَيَمـــوتُ فـــي قَلْـــبِ المســـيحِ تَـــوَدُّدا

نَبَـــذَ المَنـــامَ فَمـــا أذَلَّ جُفونَـــهُ ... إلا وَشَـــعْبُهُ فـــي العُيـــونِ تَوَسَّـــدا

راعٍ أمـــينٌ فـــي الكثيـــرِ أقامَـــهُ ... اللهُ عَلـــى أمْـــرِ الكنيســـةِ قائـــدا

أعْطـــى الرَّعِيَّـــة فـــي الأوانِ عُلوفَـــةً ... وَأتـــى بِهـــا مـــاءَ الحيـــاةِ مَـــوارِدا

فَمَتـــى أتـــى رَبُّ الكنيســـةِ فَجْـــأةً ... فَبَهـــاءُ مَجْـــدِكَ فـــي السَّـــماءِ تَمَجَّـــدا

سَيَصـــيحُ إذْ يَلْقـــاكَ رَبُّـــكَ ســـاهِراً : ... زَكّـــا تَعـــالَ إلـــيَّ ضـــيفاً خالِـــدا

لا بَـلْ سَيَصْـرَخُ فـي عَظـيمِ اشْـتِياقِهِ: ... إنّـــي لَضَـــيفُكَ يـــا مُبـــارَكُ لِلمَـــدى

ضَـيفُ المسـيحِ اليـومَ يُصْـبِحُ ضَـيفَنا ... لَـــمْ تُبْصِـــرِ الأيّـــامُ يَومـــاً أسْـــعَدا

قَـــدْ جـــاءَ إثْـــرَ العيـــدِ عيـــدَ بَشـــائرٍ ... فَالعيـــدُ مَـــدَّ زَمانَـــهُ وَتَمَـــدَّدا

بَـــدَأ المُبَشِّـــرُ بِالزِّيـــارةِ مُعْرِبـــاً ... خَبَـــرَ الزِّيـــارَةِ للمَبـــاهجِ مُبْتَـــدا

لمّـــا أتـــى رَحُـــبَ المكـــانُ مُرَحِّبـــاً ... واستبشـــرَ الـــزمنُ الكئيـــب وزغـــردا

نَظَـرَ الشـتاءُ صَـبوحَ وَجْهِـكَ فَـازْدَهى ... تيهـاً عَلـى حُلَـلِ الرَّبيـعِ وَمـا ارْتَـدى

نَثَـــرَ اللآلـــئ وَالنَّفـــائسَ واعِظـــاً ... فَـــتَلأْلأتْ طَـــيَّ النُّفـــوسِ قَلائـــدا

قَـدْ أسْـمَعَ الحَجَـرَ الأصَـمَّ كَلامَـهُ ... فَانْشَـقَّ عَـنْ غُصْـنٍ يَمـيسُ تَـأوُّدا

وافـــى رَعِيَّتَـــهُ لِتَسْـــمَعَ صَـــوتَهُ ... فَـرَأى القُلـوبَ الظامئـاتِ جَـرَتْ صـدى

فَمَشـى علـى مـاء العيـونِ كربِّـهِ ... وهمـى علـى ظمـأ القلـوب مُبَـرَّدا

حلـــبٌ تـــروّى بالحليـــبِ ترابُهـــا ... لمّـــا نزلـــتَ علـــى المدينـــة كالنـــدى

الصـــبحُ ألقـــى فـــي طريقِـــكَ بُـــرْدَهُ ... والشـمسُ تسـكبُ حيـثُ تخطـرُ عَسْـجَدا

والليـــل فـــي الشـــهباء ينثـــرُ قلبَـــهُ ... شُـــهُباً تهـــاوتْ فـــي يـــديك فرائـــدا

يـــا بطريركـــا فـــي القلـــوب مقامُـــهُ ... تَخَـــذَ العراقـــةَ والمهابـــةَ مَرْقـــدا

تتجمَّـــعُ الأمجـــادُ إنْ يقـــبضْ يـــدا ... تتـــوزَّعُ البركـــاتُ إنْ بســـطَ اليـــدا
لـــم يبتعـــد عـــن قلـــبِ شـــعبه إذ نـــأى ... لكـــنْ توَغَّـــلَ فيـــه أبعـــدَ أبعـــدا
الوحـــدة الكبـــرى المســـيحُ يضـــمُّها ... فـــي نـــبض قلبـــه حيـــث يحكـــم سـيّدا
أمَـــمٌ كلـــجِّ البحـــرِ يصـــعبُ عَـــدُّها ... والـــربُّ يملـــك فـــي الجـــوانح واحـــدا
يـــا بطْرِيَـــرْكَ البيعـــةِ الغَـــرّاءِ يـــا ... عَلَمـــاً سَـــما فـــي غُـــرَّةِ العُلْيـــا بَـــدا
يـــا بَطْرِيَـــرْكَ المِلَّـــةِ العُظْمـــى التـــي ... كَسَـــتِ الحَيـــاةَ عَلـــى الزَّمـــانِ تَجَـــدُّدا
صَـــفَتْ بهـــا ريـــحُ المَنـــونِ فَأعْلَنَـــتْ ... شَـــأْوَ الزَّمـــانِ عَلـــى الفَنـــاءِ تَمَـــرُّدا
فـــي موكـــبِ النَّصـــرِ العظـــيمِ تَكَلَّـــتْ ... تـــاجَ الفَخـــارِ صَـــليبَ مَـــنْ صَـــنَعَ الفِـــدا
ســـارَتْ مَـــدى التّـــاريخِ تَحْـــتَ صَـــليبِها ... جبّـــارةً قَهّـــارةً تَطَـــأُ الـــرَّدى
زَتِ العـــوالمَ كالنَّهـــارِ ســـلاحُها ... بُشـــرى القيامـــةِ بالمســـيحِ مُمَجَّـــدا
جـــلا ضـــياءُ الـــوَحْيِ ضـــوءَ حُروفِهـــا ... أَومـــا تَجَلّـــى الـــوَحْيُ هَـــوَّزا أبْجَـــدا
بـــالحرفِ أبْـــدَأتِ الحضـــارةَ فـــي الـــدنى ... بـــالرّوحِ قـــدْ دَعَـــتِ الوجـــودَ لِيوجـــدا
الحـــرفُ يفتـــكُ بالصـــوارمِ والقنـــا ... والـــرّوحُ يُحْيـــي فـــي المُهَنَّـــدِ أمْلَـــدا
ومَنـــارةُ العرفـــانُ تشـــهدُ أنَّهـــا ... نـــورٌ تَبَـــدّى فـــي الظـــلامِ وبَـــدَّدا
شَـــهِدَتْ لهـــا الآدابُ تَرْفُـــلُ بالسَّـــنا ... بالفَضْـــلِ والإيمـــانِ ضـــاءَ لِيَشْـــهَدا
هـــي مِلَّـــةُ الســـريانِ يشـــمخُ مجـــدُها ... فـــي قِمَّـــةِ العليـــاءِ صَـــرْحاً مُمْـــرَدا
قَـــدْ قَلَّـــدَ اللهُ الخلـــودَ فخارَهـــا ... فتعاقَبَـــتْ حِقَـــبُ الزَّمـــانِ لِتَسْـــجُدا
فابســـط يمينـــك يـــا رئـــيس رعاتهـــا ... بـــارك خرافـــك بالصـــليب لتســـعدا